

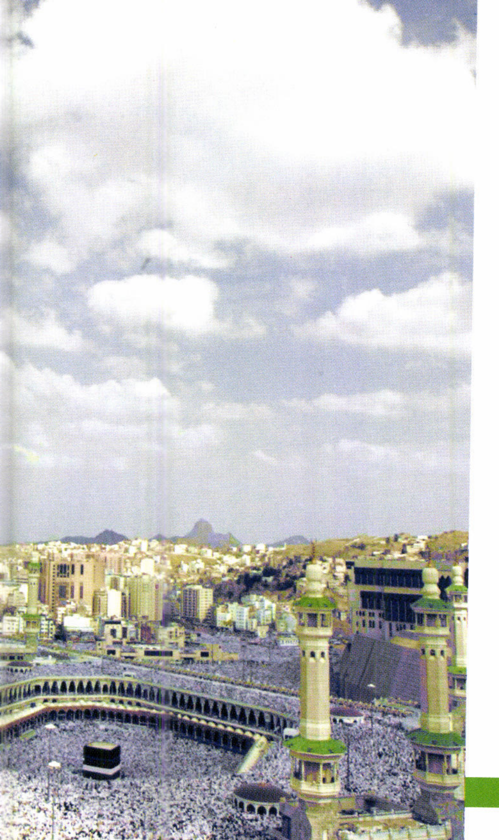
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
إعداد
مكتبة الحرم المكي الشريف
إنتاج
إدارة المطبوعات والنشر
ما أطيبك من بلد


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس



أحب البلاد
إلى الله!



أرض الحرم.. مهوى الأفئدة، وقبلةَ المسلمين، وأحبّ البلاد إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. إليها تهفو القلوب المؤمنة، وبها تأنس الأرواح الزكية.

- فيها عبق التاريخ والآيات البينات التي لا توجد في غيرها.
- يشتاق إليها المؤمنون، ولا يملون من تكرار المجيء إليها في كل مرة.
- آمنة في ذاتها، ويأمن كلّ شيء فيها.
- رمز الطهر الحسّي والمعنوي منذ اليوم الأول لارتفاع قواعدها.
- يجمع على محبتها كلّ مؤمن، وهي مقصد وجهته ومهوى فؤاده وإن نأت به الديار.
- يزداد الإيمان عند مجرد التفكير بها، ويزداد حال السكنى في ربوعها، ويتجلى أثره بعد المجيء منها.

في مكة المكرّمة الآيات البينات.

أنزل الله الجليل من الجنة: الحجرَ الأسود والمقام؛ وأجرى خير ماء على وجه البسيطة .. ماء زمزم، آيات بينات في بيته الحرام، دالّة على عظمته وقدرته، وأنّه من بناء خليله إبراهيم، قال تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران:٩٧).

ومن الآيات البينات بمكة: الركن اليمانيّ، والصفا والمروة، والحطيم. ومنها الأمان الذي ألقاه الله تعالى لمكة في قلوب العرب؛ فلا يُغير عليها أحد، ولا يُظلم بها أحد.





اختار الله تعالى لها الخليلين من صفوة أنبيائه.

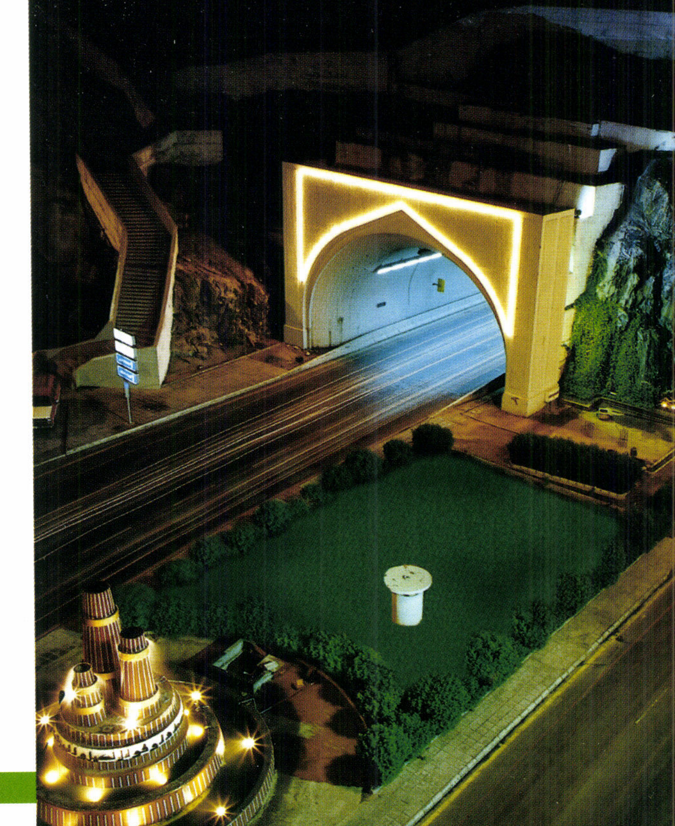
بدأت نشأة مكة بأيد زكية من سلالة النبوة.. إسماعيل عليه السلام وأمّه هاجر؛ فقد أسكنهما إبراهيم عليه السلام بأمر الله تعالى في وادي مكة،ولم يكن بها زرع ولا ضرع ولا ماء، ثمّ قفل عنهما، واستقبل بوجهه البيت عند الثنيّة، ورفع يديه، ودعا بهذه الكلمات: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. (إبراهيم:٣٧).

وفي هذا دلالة على أنّ الأصل في الحياة بمكة الاستقامة. كما أظهر سبحانه تعظيمها على يد رسوله صلى اللَّهُ عليه وسلم، الذي قال، وهو على مشارف مكة يوم الحديبية: (وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا يسألوني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فيها حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا). (رواه البخاري، ج٢/ص٩٧٤).

أمان من الجوع والخوف.

امتن الله تعالى على قريش بنعمتين يستوجبان الشكر بقوله: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ} (قريش: ٣،٤)، وقال سبحانه: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (القصص: ٥٧). قال السعدي رحمه الله: فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت والثمار فيها متوفرة، والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب( ).

( ) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٢٧.





العبادة في مكة أفضل منها في سواها من البلدان.

العبادة في مكة أفضل منها في غيرها، وبخاصة الصلاة، عن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قال: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ من أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ في الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ من مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ) ( ).

قال ابن القيم في سياق الحديث: وهذا صريح في أنّ المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق( ).

( )رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٣٨٣٨).

( ) زاد المعاد، (٤٨/١).

بقاء مكة المكرمة تأكيد على بقاء الدّين..

سرّ بديع من أسرار البيت الحرام حيث جعل الله تعالى بقاء البيت العتيق مقترناً ببقاء الدين العظيم في الأرض، وفي انقطاع دوره العبادي علامة على النهاية وقيام الساعة. عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت) ( ).

فكما أنّ الله تعالى جعل الغاية من الخلق عبادته وحده، وجعل دينه قائماً على عبوديته والاستسلام له، فقد جعل علامة زوال الدنيا انقطاع الحج إلى بلده الحرام.

( ) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٧٥٠)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٠٠).



بقاء البيت الحرام علامة على حفظ هذه الأمّة من الهلكة..

عن عَيَّاشِ بنِ أبي ربيعة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزال هذه الأمةُ بخير ما عظموا هذه الحُرْمَةَ حقَّ تعظيمها، فإذا تركوها وضيعوها هلكوا) ( ).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه : أن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: (لن يستحلّ هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنزه) ( ).

وروى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية: {قِيَامًا لِّلنَّاسِ} فقال: لا يزال الناس على دين ما حجّوا البيت واستقبلوا القبلة ( ).

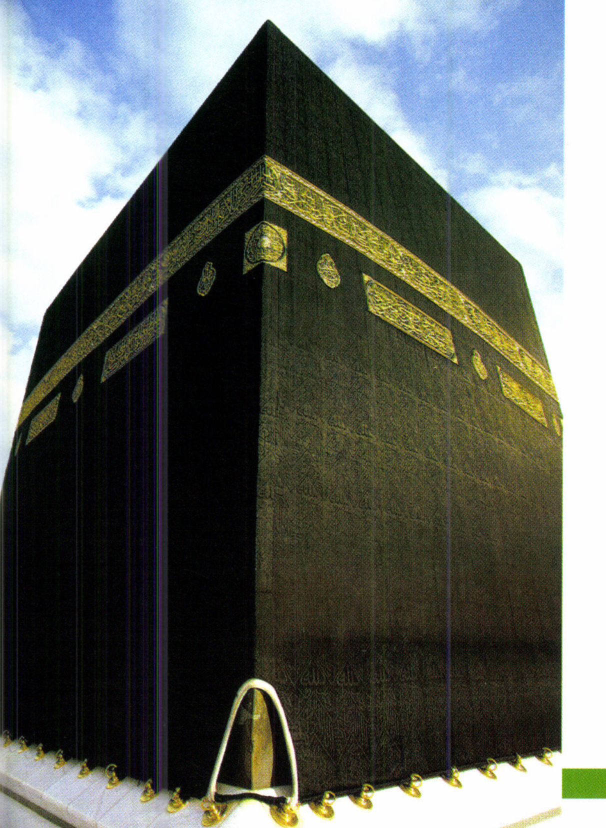
( ) أخرجه الإمام أحمد (٤/٣٤٧) وابن ماجه (٣١١٠)، وحسنه الحافظ ابن حجر (الفتح ٣/٤٤٩).

( ) أخرجه أحمد (٢/٣٥١)، وصححه ابن حبان (٦٨٢٧)، والحاكم (٤/٤٩٩).

( ) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣/٤٥٥).



أم القرى !



كثيرة المنافع، متعددة الخيرات، ظاهرة الحسنات الدينية والدنيوية. مهبط الأذكار ، ومولد خير من سجد واستغفر بالأسحار ، ومرابع أصحاب محمّد الأطهار .. كم هجر لأجلها الصادقون الأهل والديار، وخاضوا لها عُباب السماء، وثَبج البحار.

قال الله تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (آل عمران:٩٦).

عن عبد اللَّهِ بن عَدِيِّ بن حَمْرَاءَ الزُّهْرِيِّ قال: رأيت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاقِفًا على الْحَزْوَرَةِ فقال: "والله إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إلى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ ما خَرَجْتُ ".

(صحيح سنن الترمذي للألباني ٣٩٢٥).

كثيرة الثواب، عظيمة الأجور..

العباداتُ فيها تمحو الذنوب، والثواب والأجور والحسنات فيها مضاعفة، ومواطن استجابة الدعاء فيها لا توجد في أيّ بلد سواها:

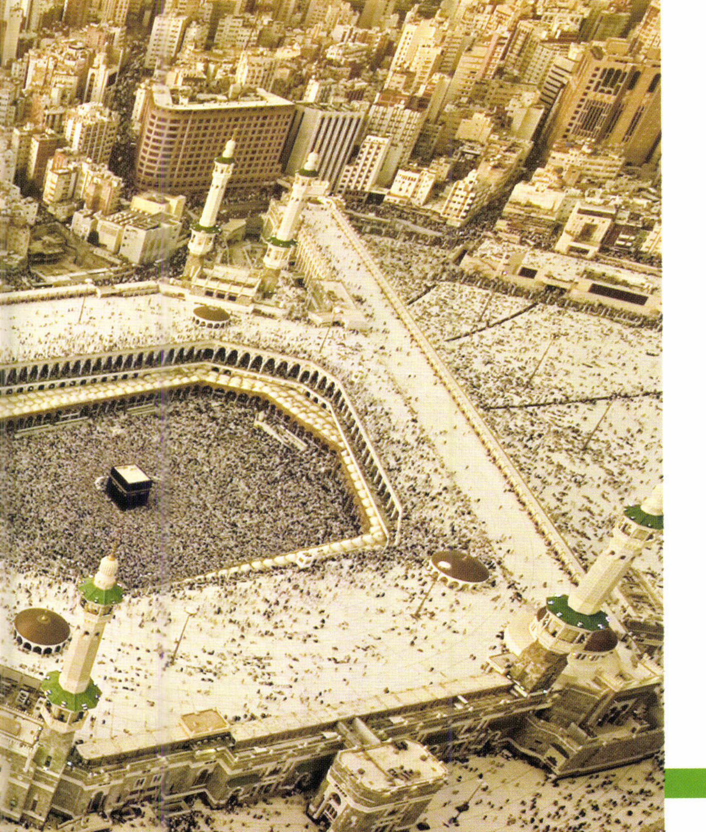
- الصلاة فيها بمائة ألف صلاة. قال رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ من مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ) .

- الطواف بالبيت من مكفرات للخطايا. قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْبُوعًا فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ)، وقال: (لاَ يَضَعُ قَدَمًا وَلاَ يَرْفَعُ أُخْرَى، إلاَّ حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطِيئَةً، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً) ( ).

- الحج والعمرة كفارات للذنوب. قال صلى الله عليه وسلم: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة). (متفق عليه).

رواه ابن ماجه، (ج١/ص٤٥١).

( )أخرجه أحمد (٢/٩٥) والترمذي (٩٥٩)، وصححه ابن حبان والحاكم والألباني.



ابتدأ فيها نزول القرآن الكريم..

أوّل تنزّل القرآن العظيم كان بمكّة المكرّمة..

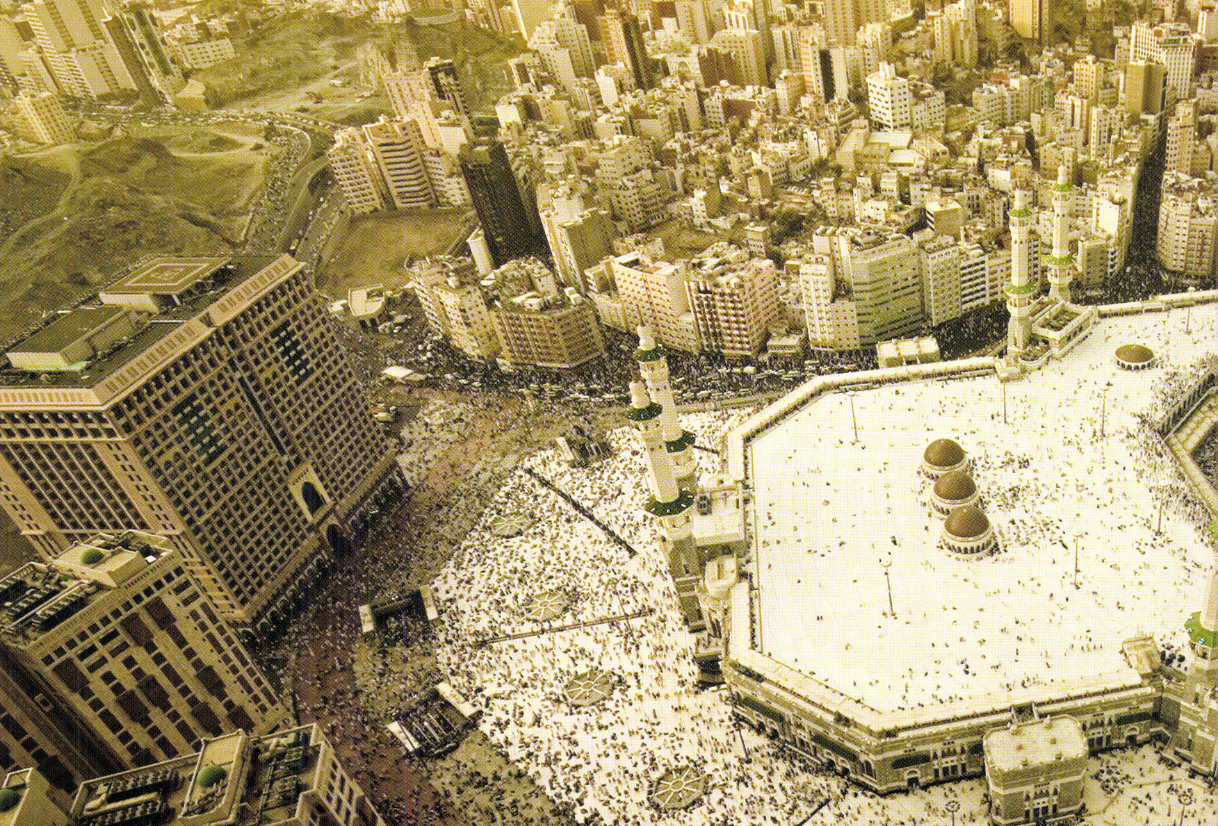
ففي غار حراء تنزّل قول الحقّ جلّ شأنه:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق).

ثمّ تنزّل بمكّة بعدها جُلُّ القرآن الكريم:

خمس وثمانون سورة ( ).

( ) البرهان في علوم القرآن، للسيوطي، (١/١٩٤).





دار الإيمان..
وإليها مع المدينة يأرز في آخر الزمان..

حرّم الله تعالى مكّة على الكافرين، وأخلصها للمؤمنين؛ فهي مأمنهم ومفزعهم إلى قيام الساعة. قال الله تعالى: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } (التوبة:٢٨). عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: (إنّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرزُ بين المسجدين كما تأرِزُ الحية في جُحرها)( ).

( ) رواه مسلم، (١٤٦). ومعنى يأرز أي: ينضم إليها، ويجتمع فيها بعضه إلى بعض. (النهاية لابن الأثير ١/٧٨).





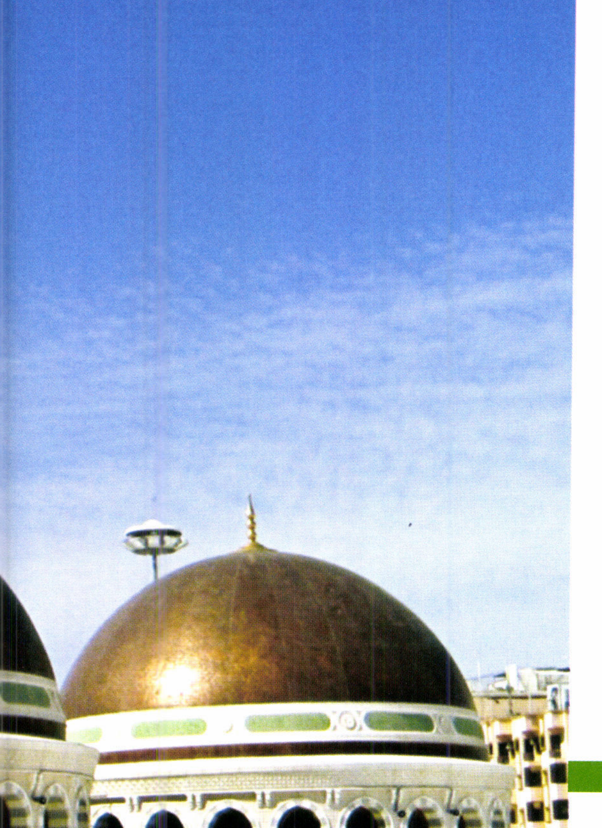
الطاهرة!

الخليل عليه السلام.من بيتِ المقدس يهرع لتطهيرها؛ استجابة لأمر ربّه وإسماعيل عليه السلام يشارك في تشييد بنيانها وتهيئتها للمصلّين والطائفين العاكفين.

خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم يطهّر ساحة البيت من الشرك والأوثان والأدناس..

سندٌ من الطهر سار عليه المؤمنون، وشرُف به خدّام حرم الله قديماً وحديثاً. طهر للمكان المقدّس ذاته، ولأعمال الناس حوله، قال الله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} (الحج:٢٦).

وقال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} (البقرة:١٢٥).



تأسّس الطهر مع قيام هذه البلدة..

ارتفع البنيان بمكة المكرمة على الطّهر من أول يوم، وجاء الأمر بتطهيرها وهي أرض خلاء، لا سكن فيها ولا بناء.. فأيّ تاريخ للطهر أنقى وأشرف من هذا التاريخ.. ابتدأ مع قدوم الأنبياء، وترسّخ بأيديهم المباركة الشريفة.. قبل أن ينزل فيها الناس منازلهم؟ّ! وأيّ شرف لمن قام بتطهيرها حسّاً ومعنى مستشعراً أنها بلد ربّ الأرض والسماء، ومنزل الصفوة من الرسل والأنبياء؟!

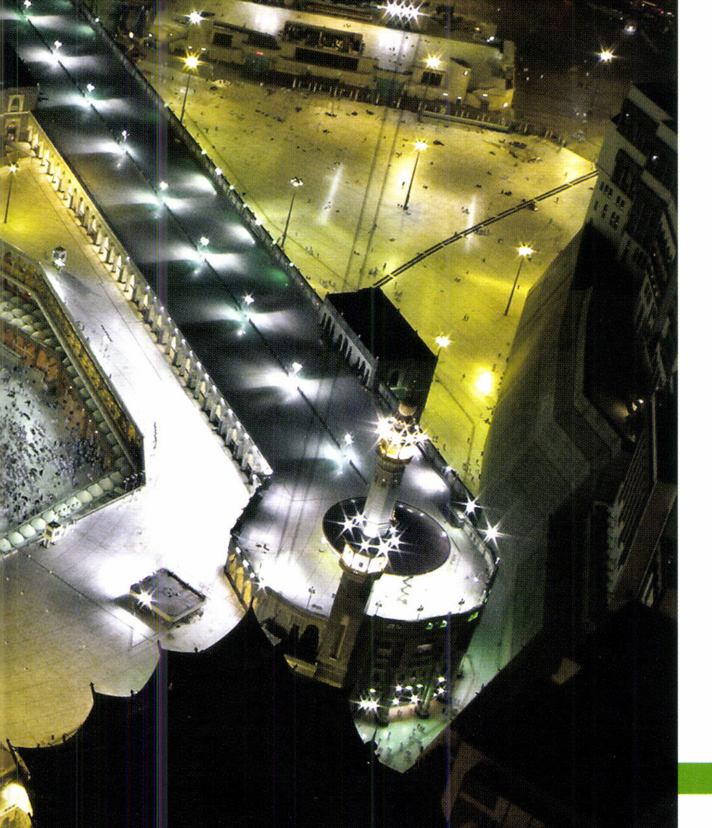




الطهر بمكة لا يتوقف ولا ينقطع مهما تبدّل الزمان..

فهو طهر لا يفتقر لأمر بشر، ولا لقيام جهة من الناس؛ لأنه أمر أزلي.. أوحى به الله تعالى إلى خليله إبراهيم، وأوكله من بعده لابنه إسماعيل، ثم عهد به إلى صفوة خلقه محمد عليه الصلاة والسلام آمراً إياه بأن يتبع ملة أبيه إبراهيم، وأن يستودعه أمته من بعده.. يتعاقبون على تطهيره إلى قيام الساعة، قال الله تعالى: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (النحل:١٢٣).





تجتمع في مكة المكرمة صور الطهر: حسّاً ومعنى.

تطهير عام للمكان، يشمل تنظيف البلد الحرام بعمومه، والبيت العتيق بخصوصه من : القذر والدماء، والأوثان .. وسائر الأدناس، وتطهيره من: الشرك، والبدع، والظلم، والكبائر، وسائر المحرمات، والخبائث ، والعادات السيئة، والأعمال المشينة التي يقع فيها بعض النّاس.



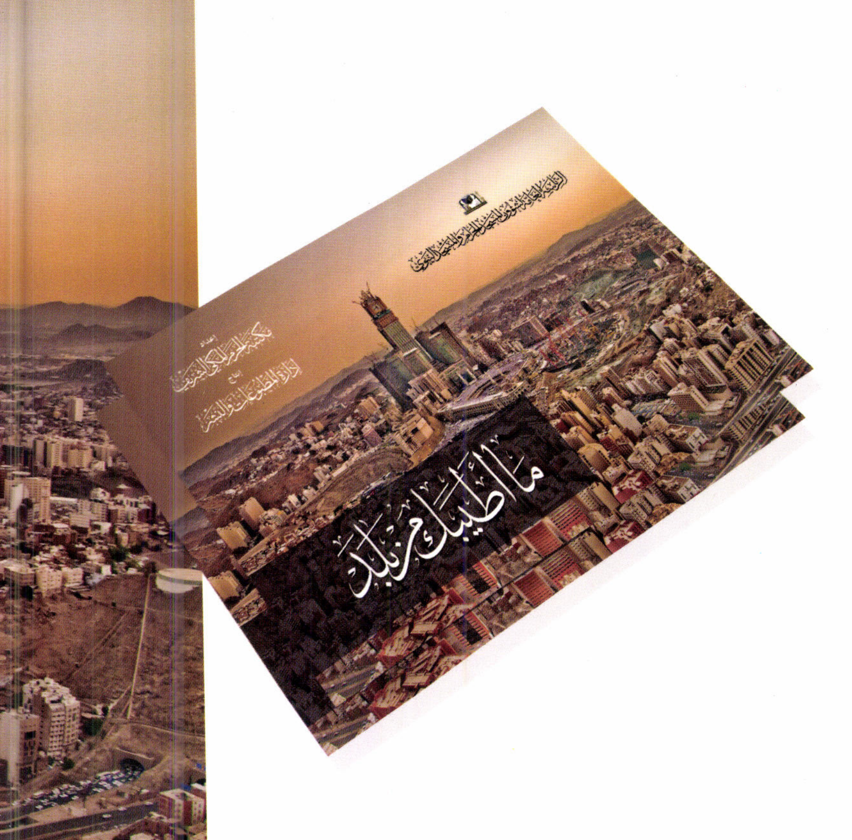
الطّهر فيها يتناول الحفاظ على فرائض الله تعالى، وأعظمها الصلاة..

هذه البلدة بساط مُلك الله تعالى، وأهلها أحرى الناس بالحفاظ على فرائضه، واجتناب نواهيه. قال الله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} أي: كان يأمر أهله الذين سكنوا البلد الحرام بأن يقيموا الصلاة، التي من أجلها جاء به والده إبراهيم إلى مكة شرفها الله وأسكنه فيها، والتي من أجلها بُنيت الكعبة، والتي من أجل أهلها أُمِرا عليهما السلام بأن يطهّرا البيت وساحته من الأقذار والأنجاس، وإذا كان الناسُ يفدون إلى البلد الحرام من كلّ صوب ليشرُفوا بالصلاة في ساحة الكعبة الغراء، ولو مرة في العمر، فلا يليق أن يكون سكّانه تاركين لها.









ما أطيبك من بلد

إعداد

مكتبة الحرم المكي الشريف

إنتاج

إدارة المطبوعات والنشر